هل تنبأ بورخس في قصه بشبكة الإنترنت؟

دوغلاس ووك
ترجمة نجاح الجبيلي

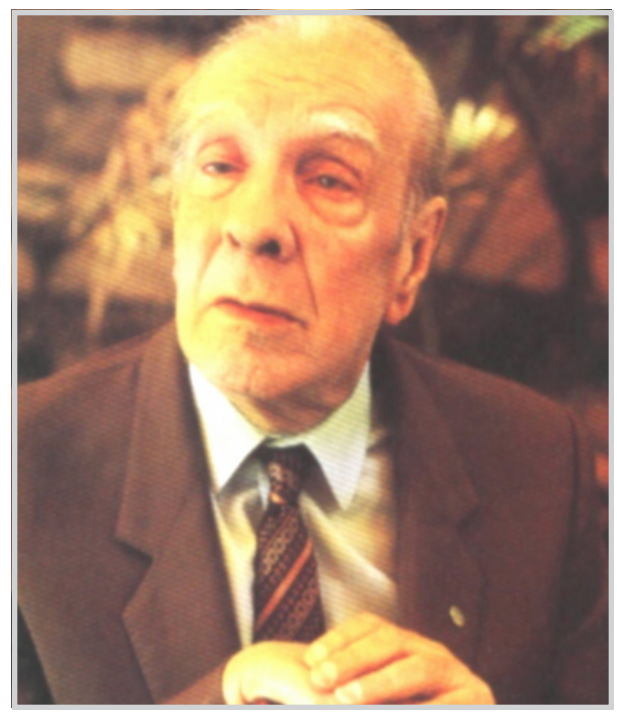
بورخس

كان بورخس نفسه الذي جاء بالمفتاح ، وما أن اكتشفته حتى أدركت بطبيعة الحال ، أن مفاتيح اللغز في كل مكان من المجلدات الثلاثة من الأعمال المختارة للكاتب الأرجنتيني الكبير التي نشرتها دار فايكنغ في الذكرى المئوية لولادته (١٨٩٨- ١٩٨٦) بترجمة إنكليزية جديدة.

كان مفتوناً بفكرة الحقيقة الخفية التي يمكن أن يصل إليها فقط القارئ المتفاني، فمثلاً في مراجعته لكتاب صادر عام ١٩٣٨ وفي مقالته عام ١٩٤١ " دراسة في أعمال هربرت كوين" يقترح بورخس رواية بوليسية لا يقدم حلها الحقيقي مخبر ، بل تلمح إليه عبارة عرضية ، وفي قصة "بيير مينار مؤلف الكيخوته" عثرت على مثل هذه العبارة بالذات ، وهي تلميح إلى مصدر الإلهام الكبير لمؤلفات بورخس. كانت ظاهرة لم تكتشف إلا بعد أربع سنوات من موته عام ١٩٨٦ وهي الشبكة العالمية للمعلومات (الإنترنت).

كتب بورخس أن مؤلفه الخيالي " قد اغنى ربما بطريقة غير مقصودة فن القراءة البدائية البطيئة بوساطة تكنيك المفارقة التاريخية المقصودة والفرضية المضللة، ذلك التكنيك الذي يحتاج إلى صبر وتركيز غير محددين يملآن الكتب الأكثر رصانة بالمغامرة". لا شك في أن إهمال الزمن الخطي هي ميزة "بورخسية" ففي قصصه ومقالاته وقصائده ذوات المنطق الغريب والمفصل بعناية يكون من الطبيعي جداً لأي مؤلف أن يتأثر بالأحداث التي ستحصل فيما بعد ، وبالصبر والتركيز اللذين يطلبهما بورخس من الممكن رؤية أن فهمه للشبكة كان مطلقاً. ولا يمكن لنا –نحن معاصريه –أن نتمتع إلى حد ما بمنظوره إذ أن قراءة مفارقة بورخس المشفرة كتفسير للعالم المترابط المتصل تثير فينا دهشة المعرفة.

لست أول من أشار إلى أن قصته المبدعة جداً " مكتبة بابل" هي كناية خيالية للشبكة إذ أنها متاهة معقدة كخلية النحل تحتوي على نص يحتمل –الحقيقي والزائف والهراء- وكلما تعودنا على تطبيقات الانترنت وخواصها الغريبة أصبحت نظائرها المغروسة في عمل بورخس أكثر وضوحاً. ما هي " القصص اللانهائية والتفرع غير المنتهي" لشخصية "هربرت كوين" في كتاب " نيسان ، آذار" إن لم تكن " النص المتشعب "Hybertext؟ ما هو قصد " إيرينو فيونس" في قصة " فيونس ذو الذاكرة القوية" الشاب المشلول غير القادر على نسيان أي جانب من أي شيء رآه في أي وقت مضى، إن لم يكن يمثل محركات البحث Search Engines المثقلة بالمخزون من الوصلات غير الفعالة منذ فترة طويلة؟ وما هو " طلون" العالم الافتراضي في قصة " طلون ، أوكبار ، أوربس " إن لم يكن "الفضاء المؤتمت Cyber Space الذي سرعان ما يصبح العالم الفيزيائي بالنسبة له مخططا مهجوراً غريبا؟

إن بورخس الحكيم لا يسمي الشبكة أبداً بطبيعة الحال. وكما تشير قصة "حديقة الممرات المتفرعة" إلى أحجية يكمن حلها في الشطرنج ، من أن الكلمة الوحيدة التي لا يمكن أن تستعمل هي " الشطرنج" لكن معنى أمثاله محدد ولا يمكن إنكاره ، فالألف (Aleph في قصة له بالعنوان نفسه والذي هو المدخل الذي من خلاله يستطيع المرء أن يرى كل نقطة في الكون ، هو المتصفح " Netscape Navigator" في كل سماته إلا الاسم. و " الزاهر" وهو شيء يغير شكله بمرور الوقت لكنه يحتكر انتباه المالك للأبد ، هو المتصفح " Internet Explorer" لشركة مايكروسوفت لأن أي شخص يحاول أن يحذفه من نظام تشغيل الحاسبة فستظهر له أيقونة بريئة تقول عند النقر عليها:" هذا خطأ مميت fatal error" (إذا أخذنا في الاعتبار انتقال بورخس بالترتيب الألفبائي بين أسماء المتصفحات وملاحظته الساخرة الدقيقة عن " الألفا" و "الأوميغا" في عالمه الجديد).

إن قصة "يانصيب بابل" التي يغير فيها جميع الناس في مجتمع معين مواقعهم باستمرار وتنشأ القوة والثروة سريعاً وتتبخر فوراً ، بطرق تمليها مصادفة عمياء هي خيال تافه إذ لم يعز إليها أحد أي معنى آخر و "ريد" كما كان بورخس يعني به بلا شك ، هو ترميز دقيق لسوق " العرض الأولي العام IPO " للشبكة وتجارتها الداخلية ويصبح هجاء قاسياً بل الأقسى والأجمل إلى أبعد الحدود وبسبب ذلك فإن قصص بورخس وقصائده ومقالاته ترتبط كالنص المتشعب فيما بينها بشكل حر ويتكرر ظهور موتيفاته عن المتاهات والنمور و "دانتي" مرة بعد أخرى وتشير برفق إلى شقيقاتها من الصفحات والتلميحات العلمية المبتكرة التي أحبها جداً وهي مربوطة بالصفحات الخارجية. وإحدى نكاته الجميلة أن مراجعاته للكتب الروائية والاقتباسات من المؤلفين الروائيين هي ببساطة " أدوات ربط ميتة dead links".

ليس من المؤكد لحد الآن إدراك ماهية العلاقة بين أعمال بورخس كلها والشبكة التي هي تكنولوجيا حديثة جداً بالنسبة لبعض معانيه كي تصبح واضحة ، فأنا أتطلع مثلاً للأحداث التي ستسمح لنا بفهم تام لقصة " الجنوب" وهي حكاية غريبة عن مسافر يدخل معركة بالسكاكين وهي الحكاية التي كان بورخس يعتقد أنها من أحسن قصصه ، وهو يقدم لها بالقول:" من الممكن قراءتها كسرد مباشر للأحداث الروائية إضافة إلى قراءتها بطريقة أخرى مختلفة تماماً" ، وهي تحتمل تفسيراً قد ينكشف فقط عندما تتطور الشبكة.

ومن خلال تكنيك بورخس في المفارقة التاريخية يمكننا أن نرى المعاني الحقيقية لمؤلفات كتاب آخرين أيضاً. فرواية " مقابلة مع الخفاش" هي كوميديا سوداء وبحث واف عن الأيدز قبل معرفته وانتشاره. ورواية " السيد وماركريتا" لميخائيل بولغاكوف تكون أكثر أقناعاً لو عدت تعليقاً على روسيا بعد سقوط الاتحاد السوفيتي وليست فنتازيا عن عصر السوفيت التي ألفت أثناءه.

من المحتمل أن كل كتاب يحتوي في طياته على كتاب سري ثان له معنى حقيقي خفي بالنسبة لقرائه المعاصرين وحتى لمؤلفه.

إن موضوع بورخس والشبكة استحوذ على عقلي فكان " الزاهر" يمسك بي أقوى من إمساك مايكروسوفت بقرصي الصلب " Hard Disk" وهزتني فكرة إيحاءاته التي لا انتظر حتى " تصبح حقيقة" لكن أنتظر كي أفهم حقيقتها ، ولأن متاهة بورخس الكبرى والخفية تتوسع حولي فيمكنني أن أعزي نفسي فقط بكلماته وبشكل ملائم أيضاً من قصة " بيير مينار": إن أي تجربة فكرية لا بد من أن تكون تافهة في النهاية".

رسالة استراليا

بابل: تغريد من أجل السلام
صور مؤثرة من مهد الحضارات

آن فيربيرن
خاص بالمدى

ينفذ فيصل السعدي بطريقة انيقة لوحاته بالزيت على القماش ويرسم على الورق بمهارة أعمال معرضه بابل - تغريد من أجل السلام ، وهو معرضه المهم الأول في أستراليا والذي يقام في متحف (ليفربول ريجنال موزيم) حيث تشهد قدرته الإبداعية الملفتة بأن أستراليا تتلقى الآن اسهاما فريدا في الفنون التشكيلية يأتيها من مهد الحضارات.

ومن المؤمل أن يجد السعدي ، وهو الفنان المبدع ، الإلهام المتجدد والتقدير الذي يستحقه بجدارة معا في بلده الجديد حيث جاء السعدي الى أستراليا في ١٤ كانون الأول ٢٠٠٤ ومازال يعيش منذ ذلك الحين في جنوب غربي سيدني بمنطقة ليفربول .

خلفية

ولد السعدي في ميسان - العراق عام ١٩٣٩ لعائلة مندائية واسمه هو فيصل شرموخ أما السعدي فهو أسم شهرته كفنان . درس في معهد الفنون الجميلة من عام ١٩٦١ الى ١٩٦٥ ولم تمض على تخرجه فترة طويلة حتى تم اعتقاله وهو في سن السادسة والعشرين للاشتباه بتآمره ضد حزب البعث وهكذا تم وضعه في سراديب سجن نقرة السلمان سيئ الصيت والذي شيد على عمق ٢٥٠ قدما تحت رمال الصحراء لكبح كل من يفكر بالهروب منه . ويقع هذا الجحيم السفلي في المنطقة الصحراوية الموحشة جنوب العراق ويبعد عن أقرب مدينة وهي السماوة بمسافة يستغرق قطعها بالسيارة ساعة ونصف الساعة حيث تم احتجازه هناك لعدد من الاشهر . لقد كان شديد الإيمان بالحرية وكذلك بحرية التعبير دائما وهذا ما يتضح في لوحاته ورسومه . و لابد من أن يكون السجن قد مثل له تجربة مرعبة ولكنه استمر في اظهار روح ابداعية لا تخاف . وفي الحقيقة فإن واحدا من أعماله المميزة في هذا المعرض هو رسم مؤثر جدا على الورق يمثل زملاءه من السجناء خلال فترة اعتقاله .

واجه المندائيون بعد تسلم صدام حسين السلطة عام ١٩٧٩ ظلما قاسيا . بعد ذلك ومع نهاية حرب الخليج الأولى (من ١٩٩١ الى ١٩٩٣) أصبح أولئك الذين يعيشون في منخفضات الأهوار في الجنوب هدفا للإبادة . تم استهداف سكان الأهوار من الغالبية الشيعية بطريقة وحشية بعد انتفاضتهم ضد النظام في أعقاب الحرب عام ١٩٩١ وهذا ما تسبب في مأساة كبيرة للمندائيين الذين أجبروا على ترك تلك المناطق التي عاشوا فيها منذ الألف الخامس قبل الميلاد .

ومازالت ترن في رأس فيصل السعدي أبيات الشاعرالعراقي الكبير الذي يحظى باحترام واسع : محمد مهدي الجواهري :

قالوا قد إنتصر الطبيب على المحال من الأمور
زرع الجماجم والقلوب وشد اقفاص الصدور
فأجبتهم ومتى سترفع راية النصر الأخير
زرع الضمائر في النفوس العاريات من الضمير

لقد أمضى السعدي بعد اطلاق سراحه من السجن حياته كفنان ونحات وصائغ للذهب والفضة مبدعا الحلي الدقيقة والجميلة وكذلك في حياكة السجاجيد بالغة التعقيد . ولم يكن السعدي فنانا يلقى الإهتمام الكبير في العراق حسب، بل كان معلما للفن أيضا، وقد أسس مدرسة فنية في ديالى لتدريس معلمي الفنون وقد لاقت اعماله حفاوة نقاد عراقيين مهمين مثل عادل كامل ومحمد الجزائري وأعماله تنتشر في مجاميع في جميع انحاء العالم .

ومن أجل معرفة عميقة بلوحات ورسومات السعدي وبالرمزية النفاذة المستخدمة في عدد من تلك الأعمال أعتقد بأنه من الجوهري إلقاء نظرة على المعتقدات والطقوس المندائية حيث يؤمن اتباع هذا المعتقد التليد بالرفق والتعايش والتسامح كما أنه من الجوهري معرفة شيء عن كيفية بقاء تاريخ ميسوبوتاميا (الكلمة الإغريقية التي تعني مابين النهرين) وميثولوجيا وجغرافيا المنطقة ومشهدها من الجبال والصحراء والأنهر وأشجار النخيل والبحيرات ، بقاء كل ذلك في روح كل عراقي وحيثما كان يعيش الآن .

تشير الأبيات المؤثرة التالية وهي من قصيدة للشاعر العراقي -الاسترالي هادي القزويني الى المدى العميق الذي يشعر به العراقيون ازاء وطنهم :

أهيم بعطر صباحاتك ومساءاتك
يصل الضفاف وهديل الحمائم
أهيم بمعابدك القديمة وكنائسك ومساجدك
أهيم بجبالك الشامخة كطواويس
بأنهارك الحلوة كالعسل
بأهوارك جنات عدن

الجواهري

في شمال العراق تاركة الرأس في الشارع كشاهد بشع على تعاليمهم ؟ وهل يمكن لهذه الوحشية أن تسمى مقاومة ؟

أعتقد أن السعدي يوجه رسالة الى دول عديدة بما في ذلك أستراليا فلوحته "مندائيون بلا وطن" عن نساء مندائيات يظهرن مفجوعات وقد هربن من العنف والمهانة في العراق الى سوريا والأردن الجارتين ولكنهن مع ذلك يعجزن عن المغادرة الى دولة أخرى لبناء حياة جديدة وهكذا مازلن يعشن اليأس .

كما تعكس الهروب مشاعره حيث تعدو الجياد والناس هربا من المأساة والمعاناة التي تفرض عليهم في بلادهم الأم . ويرمز الى هذا الشعور بطريقة ذكية بتشظية ظاهر اللوحة واستوائها . أما في التقدم الى الخلف فالناس تنهض في كل اتجاه برعب نتيجة خوفهم الشديد.

وأماسي بغداد هي لوحة زيتية راقية رُسمت بألوان خافتة مما يعطي لمحة نادرة أخرى عن الإستذكار الدوري للأوقات الجميلة حيث يجتمع الناس في وطنهم . أما النساء الشهوانيات المرسومات بمهارة فهن رمز يذكرنا بعشتار كذلك .

يصبح جليا من خلال أعمال السعدي أن الفنان يهتم في الواقع بكل البشر . ففي لوحته براءة هناك شعور بين بالسلام المنشود وهذا الأمر واضح في غزال أيضا التي تصور غزالا بعينين رقيقتين يرفل هادئا .

يحقق تخطيط الحبر لعائلة تظهر فيه امرأة مبتسمة شيئا من التأثير التكعيبي التخريمي . عدة رسومات للنساء (تكرر عشتار أيضا) ترمز الى الحب والمودة والاهتمام بالآخرين وكل هذا أمر مركزي في طريقة الحياة المندائية .

كما يعبر السعدي عن الطيران من الاضطهاد الذي لايوصف الى الحرية في رسمه لطائر كبير بجناحين ممدودين . يقول السعدي : " نحن ممنوعون من الفعل ومن الكلام ونتطلع الى الحرية . لقد كان صدام أكثر من مجرد مجرم ، كان قاتلا مهووسا).

هناك رسم صغير آخر لطير وهو يرمز الى السلام أيضا وتم تلوينه بدقة . إنه غلاف لكتاب وتم رسمه في ٢٠٠٦ بينما يعيش في استراليا متمتعا أخيرا بالحرية التي كان يحن اليها .

ويبدو رسمه البديع لشروق الشمس وكأنه يرمز الى أمل الفنان المتأجج الى مستقبل مسالم في العراق.

لقد أكد لي فيصل السعدي أنه وعلى الرغم من جميع المشاكل التي حدثت بين العراقيين من مختلف المذاهب تحت سياسة النظام السابق المؤسسة على فكرة فرق تسد فان العراقيين ممن استقروا في استراليا تحت شمس الجنوب الذهبية يعيشون متحابين .

يقول الناقد الفني المعروف عالميا روبرت هيوز في كتابه (أشياء لم أكن أعرفها –مذكرات) إنه من المهم (أن نميز الجيد من أعمال الدرجة الثانية الاستعراضية والمبالغة والمضجرة التي تغرق ثقافة اليوم) . وأنا واثقة من أن هيوزسيتفق معي على أن أعمال السعدي لا يمكن أن توصف بالمملة أو من الدرجة الثانية .

الخلاصة هي أن هذه السطور من الشاعر الأسترالي الكبير أي دي هوب (وهو المعجب الكبير بالشعر العربي) تمسك بروح أعمال السعدي :

أفكر بالإهرامات الأخرى
نُصب الفن العظيمة المدهشة
وفي بنائيها ، الرجال الذين تركوا جانبا
التحرز فتجرؤا ووقفوا وحيدين
ليعاضدوا تلك القوى التي تحصن القلب الواهن
الإرادة المستحيلة والفخر الذي لايموت

إن معرض السعدي مؤثر جدا واللوحات والرسوم تم تنفيذها بطريقة عالية مع تمعن أصيل في المضحك المبكي مما يحدث في مهد الحضارات الذي ندين له بمفهوم حضارتنا والذي يبدو الآن وكانه قد تحول الى مهد للمحن والعذاب والألم .

لعل الطيور تغني قريبا من أجل السلام في البلاد العريقة مابين النهرين .

وبصحاريك الشاسعة كالحرية

تبين لوحات السعدي ورسوماته على الورق بشكل واضح الطبيعة الرقيقة الموروثة لهذا الفنان الهادىء والتي هي علامة على خلفيته المندائية (أو الصابئية التي تعني المغتسلة أو المتعمدين). والمندائية هي أقدم دين غنوصي (من الكلمة الإغريقية غنوص التي تعني المعرفة) حي وآخر نبي مبجل في هذا الدين كان يحيى (يوحنا المعمدان) الذي عمد المسيح في نهر الأردن . ويعتقد المندائيون أن التعميد (مصبتا) يجعل المعمدين قريبا جدا من عالم النور . ويسبق هذا الدين يوحنا المعمدان ويعرف بأنه أقدم دين معروف ، واللغة المندائية هي الآرامية . يعتقد المندائيون بأن بشيرا سيقود في النهاية كل الأرواح من عالم الظلام الى عالم النور حيث يختفي الألم والمعاناة الى الأبد ، ونص المندائيين المقدس هو كنزا ربا .

تصور مواضيع لوحات ورسومات السعدي بعض لحظات المتعة ولكنها في الغالب تصور حزنه وكذلك غضبه الخفي وما يشعر به من ألم تجاه بلده الأم حيث يتصاعد منذ الإطاحة بصدام عدد جرائم القتل والإختطاف والتحول القسري عن المندائية وعلى الرغم من أن دينهم يحرم قتل الحياة تحريما صارما إلا أن الكثير من المندائيين سيقوا الى الجيش .

الأعمال الفنية

تبدو كل لوحة من اللوحات الخمس والعشرين في هذا المعرض موزائيكا شعريا من مشاعر السعدي ، وحين ينظر اليها مجتمعة فسيبدو أنها تتشارك حسا ظاهريا بالرقة ولكن عندما يتمعن الناظر في الألوان السرابية لكل لوحة يدرك حالا الرمزية المستخدمة والغضب العميق والألم والمعاناة . هذا الأثر المتواري يتحقق عبر الشكل العراقي من الانطباعية والتكعيبية والتي توحي بالرقة على نحو إشكالي وإن كان الغضب مصورا بقوة . حين نتمعن في لوحات السعدي سيبدو وكأن المشاهد ينظر الى قصيدة رصينة تم التعبير عنها بصريا .

في لوحة السعدي اغتصاب المرسومة في العراق ٢٠٠٠ هناك تعبير جلي عن وعيه الحاد بما كان يحس موقنا بوقوعه وذلك بأن البلد سريعا ما سيواجه الدمار. يبدو وكأنه أحس حدسيا بالمستقبل الأسود. ويبدو ان الجنفاص هو مساحة لاستقبال تدفق الأعماق وعمل من التعبير عن النفس مشحون بالمشاعر المتوترة المتطلعة دائما والفوضوية أيضا التي تختفي تحت أساسات المحنة الأليمة في حياته الجوانية . وهو غالبا ما يجسد القوى التدميرية برسم أشكال بشرية ووجوه حيوانات جامحة معبرا بذلك عن المذابح في بلده .

ويبدو أن تغريد الطيور هو صدى الشوق الذي يحسه الفنان للطيور في سماء العراق ، الطيور في الجبال والأشجار والقرى التي تغرد فرحة لتبشر بالسلام والانسجام . مع هذا يبدو واضحا في لوحة شرق أوسط التي تصور خيولا جامحة يبدو الغضب المنفلت على وجوهها أن السعدي يؤمن بأن بالسلام آت لامحالة وأن الشعب العراقي مازال يشعر بالغضب والحنق .

تعبر عشتار - إلهة الحياة والحب وضوء العالم باعتبارها كوكبا في السماء –في ملحمة كلكامش عن رغبتها للبطل قائلة : " تعال يا كلكامش وكن عشيقي ، تعال وضع ثمرتك في " . ويبدو أن جمال عشتار الحسي يتصادى مرة بعد أخرى في أعمال السعدي حيث تبدو النساء المصورة فيها تعبيرا عن الحسية والشهوانية .

كتبت ملحمة كلكامش بالمسمارية على الواح الطين في ميسوبوتاميا في الألف الثالث قبل الميلاد حيث يرود كلكامش مع صاحبه انكيدو مناطق نائية عن بلاده مثل غابة الأرز في جبال لبنان . وتظهر الملحمة انكيدو بوصفه يعيش حياة البراري مع الوحوش مستأنسا بمعاشرة النساء ولكنه يبقى الرفيق المحارب الذي يلازم كلكامش دائما . يجادل بعض الدارسين ، على اية حال ، في أن أنكيدو هو في الحقيقة رمز للجانب المظلم البري من كلكامش الشاب والذي يتعلم ترويضه رويدا. وفي لوحة السعدي المثيرة أنكيدو يشعر الناظر بثنائية الرقة والوحشية .

أما طبيعة صامتة فهي لوحة مرسومة بمهارة وهي عمل ينتمي الى التقاليد الواقعية يصور زهورا ذات ألوان وضاءة حيث تبدو كل ورقة وبتلة منها مصورة بتفصيل خبير وهي ترمز الى السعادة الحقيقية التي يأمل السعدي بتحققها للشعب العراقي .

وعبر إظهار الوجوه الغاضبة لما يبدو أنها جياد برية بأجساد بشر ، يعبر الفنان بوضوح في لوحته رفض عن اعتقاده بأن سياسات صدام دفعت البشر الى التصرف كحيوانات ضارية طليقة.

وبعد تفحصنا لكل لوحة نزداد يقينا بأن السعدي يشعر في الواقع بألم عميق مما حدث ويحدث في العراق ففي لوحة الألم مستمر يصور المسيح على الصليب ليعبر عن معاناة المسيحيين الآثوريين في ظل نظام صدام وقد كان في الواقع ليلا حالكا غلف أرواح أولئك الذين ساندوا ذلك النظام . فهل هذا هو ما يفرض بطريقة مأساوية من قبل المقاومة التي يبدو انها تقاتل من أجل دولة اسلامية خالصة والتي ذبحت مؤخرا قساً آشوريا

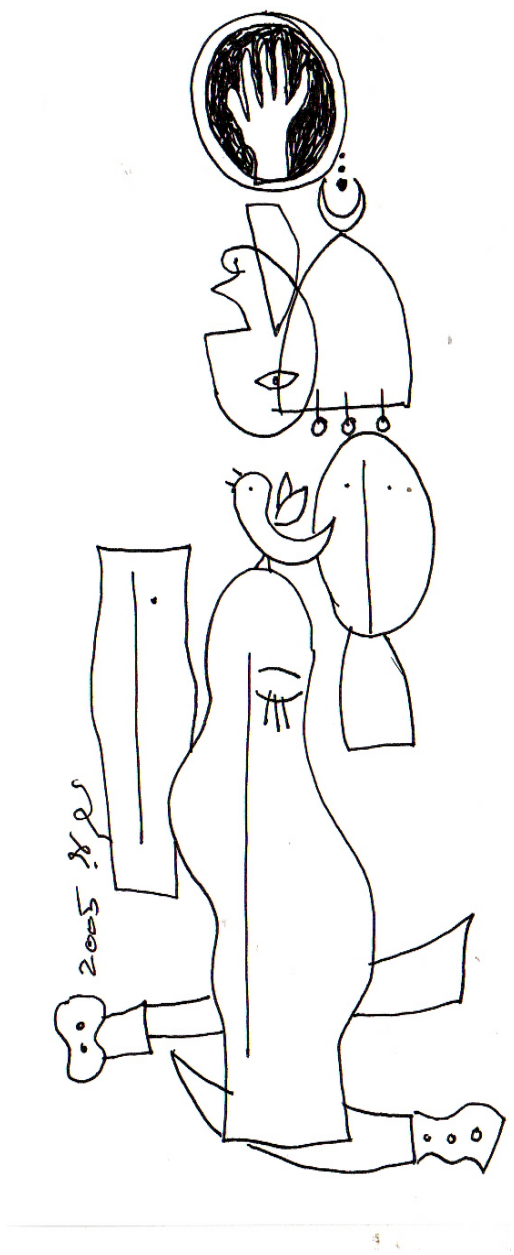

قصائد

أديب كمال الدين

رغبات

تريد الشمسُ أن تسهرَ الليلة
في نادي الكواكب والنجوم
لكنها تخاف أن تتأخر
ولاتشرق غداً في موعدها المحدد .
يريد القمر أن يحلقَ عاليا
ويخرج من مداره المرسوم
لكنه يخاف أن يقع في الثقوب السوداء .
يريد العاشق أن يستحضر حبيبته
من غياهب النسيان
لكنه يخاف حين تجيء
أن يجيء معها الماضي
وأشباحه وسكاكينه المتوامضة وسط الظلام .
يريد النهر أن يعود لأهله
لكنه يخاف من اللصوص
اللصوص الذين وقفوا له بالمرصاد
عند حدود الطبيعة .
يريد الشاعر أن يكتبَ قصيدته الجديدة
لكنه يخاف أن يكون ثمنها
كفه التي لاتجيد إلا المحبة
ورأسه الذي يعيش بشغف
عزلة العارفين والأنبياء .

في تلك اللحظة

(١)
حين بدأ يرمي حروفه
الواجد تلو الآخر في النار
كانت عيناه تشعان
بوميض غريب
وميض من البهجة والألم والخسران .
كانت النار
تصاعد شيئاً فشيئا
حتى تكاد تصل الى السقف .
لايهم
- قال في سره –
لايهم
كل شيء سينتهي ذات يوم
كما انتهت هذه الحروف !
(٢)
استمر برمي الحروف في النار
كل ليلة
مغيراً في مكان النار
مرة في الغرفة المطلة على الجحيم
مرة في الحديقة المطلة على رماد الخريف
مرة في التنور المطل على مواجع الخبز
مرة في فناء الدار المطل على ربيع الحشرات
مرة في الشارع المطل على العبث
مرة في النهر المطل على حذاء الطفولة الأحمر
مرة في البحر المطل على احتفالات العري والتعري
مرة في أجساد النساء المطلة على اللذة
مرة في المقبرة المطلة على الندم والعظام .
(٣)
بعد أربعين عاماً من الحريق
لم تعد أصابعه تقوى على رمي الحروف
ولم يبق لديه مكان لإشعال الحرائق
في تلك اللحظة
في تلك اللحظة فقط
عرف قيمة الكتابة
وبدأ يكتب الشعر
حرفا فآخر !

اكتشافات الحرف

(١)
حين قيل الحرف النقطة
اكتشف الوردة
وحين احتضنها بقوة
اكتشف الحب
وحين أطلقها لتطير فوق قلبه
اكتشف الهذيان
وحين صهرها مابين ذراعيه
اكتشف اللذة .
(٢)
وحين وضعها تحت جسده
وصار هو الشراع
وهي السفينة
اكتشف البحر
وحين باح لها بسره المكنون
اكتشف الشعر
وحين علقها فوق الشجرة
اكتشف البيضة
وحين اعترف لها
كالطفل الذي ضيع حقيبته المدرسية
بذنوبه ووساوسه وهلوساته
اكتشف الدمعة .
(٣)
وحين صرخ بها
في لحظة فراق سوداء
اكتشف النهاية
وحين رفسها
في لحظة غضب زرقاء
اكتشف الجنون
ثم حين طعنها
وسال منها دم الكلمات
اكتشف الموت
ومات !